إيقونة الجسد في شعر الجواهري

خطاب جسد المرأة

البحث مستل من دراسة أطروحة دكتوراه

المحور: العلوم الإنسانية

رائدة مهدي جابر العامري

أ.د. صفاء عبيد حسين الحفيظ

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

Body icon in Al-Jawahry's poetry

A woman's body speech

The research is based on a PhD thesis study

Theme: Humanities

Raada Mahdi Jaber Al-Amiri

Prof. Safaa Obaid Hussain Al Hafeez

University of Babylon / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

basic.raada.mahdi@uobabylon.edu.iq

Abstract

The body carries signs and speeches with symbolic connotations, an icon in which the poet employs his thoughts, to reveal the depth of the body's power, as a self-evident element in various types of discourse, whether the speech is of a biological or cultural character.

As the body is present in the poet's imagination, because it is always in contact and interaction with the other, and the woman is the subject and the issue at the same time, in which a lot has been said when the poet suffers deep pain. He chants his desire for a woman's body and his desire to play her through the body.

Key words: speech, woman, body, presence and absence.

الملخص

يحمَّل الجسد إشارات وخطابات ذات دلالات رمزية، أيقونة يوظفُ الشاعُر فيها أفكاره، ليكشف عن عمق سطوة الجسد، بوصفه عنصرًا مجليًا للذات في مختلف أنواع الخطاب، سواء أكان الخطاب ذا طابع بيولوجي أَم ثقافي.

إذ أن الجسد حاضرًا في مخيال الشاعر، لكونه ذا تماس وتفاعل مع الآخر دائمًا، والمرأة هي الموضوع والقضيَة في آن واحد، التي قيل فيها الكثير حين يعاني الشاعر ألمًا عميقًا، فيظهر ذلك من خلال إشارات يرسلها الجسد، ليكشف عن فتنته بالآخر الشاعر، ففاضت شعرًا ينشد به رغبته في جسد المرأة واشتهاء للعبها من خلال الجسد.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المرأة، الجسد، الحضور والغياب.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء، والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد:

إنّ مفهوم الجسد متعدد الدلالات، بحسب المكان، والزمان، وثقافة المسْتقبِل؛ لاشك في انه يبقى أثراً ومفهوماً برؤية الإبهام لا يمكن حصره في زاوية معرفية واحدة، ولاسيما ذات المرأة المتمثلة في المنجز الشعري، فالجسد في أغلب تجليات حضوره في النص الشعري المحرك الأساس، الذي يمثل بعدا إقناعيا في متلقيه، لما له من حضوراً مادياً أم معنوياً، في الخيال أم في الواقع، مباشراً أم ضمنياً، إذ يمثل نقطة ارتكاز في جانب المنظومة الثقافي والتطور الفكري والبعد المجتمعي الاجتماعي، ليرمز خطابه إلى دلالات متنوعة ومختلفة قصد منها استقطاب المتلقي والتأثر والتأثير عليه.

إذ أن لأهمية المرأة ومركزيتها ولاسيما في خطابه اقتضت دراسة الجانب الإنساني من رؤية لها، التي اكتسبت الجانب الحسّي والمعنوي للشاعر الجواهري لما تحمله من معاني تعبر عن رؤى ومنطلقات خاصة بمشاعره وأحاسيسه التي يظهر بها إمام الآخر، من: (الحزن، أو الهيبة،أو الفرح، أو الخوف، أو القلق، أو الغضب)؛ وذلك كون الجسد مرتبطاً بالانفعالات الجسدية النفسية، والتي اعتمدت بها على الدراسة الوصفية في مفاصل البحث؛ كونه يمثل حضوراً صريح أم ضمني، ودلالة تواصلية ثقافية وفكرية ومجتمعية اجتماعية انطلق منها الجواهري في خطابه للمرأة.

والى جانب ما تقدم فقد وظف البحث عدداً من الآليات السيميائية في تحليله لنصوص المنجز الشعري في منتن الدراسة، والتي قد تمت دراستها في هذه البحث.

الباحثة

إيقونة الجسد في شعر الجواهري

يحمَّل الجسد إشارات وخطابات ذات دلالات رمزية، أيقونة يوظفُ الشاعُر فيها أفكاره، ليكشف عن عمق سطوة الجسد، بوصفه عنصرًا مجليًا للذات في مختلف أنواع الخطاب، سواء أكان الخطاب ذا طابع بيولوجي أَم ثقافي،((فكل ثقافة تؤسس لمفهوم بيولوجي عن الجسد [...] نابع من الخيال الجمعي الإنساني))[1]. فلا تحتاج إلى كلام كي يفهمها الآخر، بل حركات أو إشارات معينةٍ يمكن تفسيرها من جانب المتلقي، الذي يفكك شفرتها بسهولة، فالجسد لغة((عفوية، بل هي قبل كل شيء طبيعية، وتكشف عن انفعالات، وردود الفعل تجاه الظواهر والأحداث، كشفًا متفاوت المستوى من حيث الوضوح والوعي واللاوعي))[2].

لاشك في أن الجسد يعبر ويُقرأ بلغات شتى، وأسلوب ذي تعبير خاص، فوعي الجسد يعني بالضرورة وعيا لذات الشاعر، ووعي الشاعر لحقيقة جسد المرأة، وذلك من خلال انفعالات ومشاعر نفسية، تظهر على الجسد مما يدفع بالشاعرِ أن يكتب عنه. فلا نستطيع أن نتكلم عن خطاب المرأة في النص الشعري بمعزل عن الجسد، فنحن أمام نص يصب جل اهتمامه بالبحث عن خطاب المرأة في الشعر، وأشياء قد يكشفها المتلقي ضمنًا في النص الشعري، ويمكن أنْ تكون في محاور وصور متعددة تعيش في رؤيته، فهو لم يقدمها مباشرة، بل تعبر عن تجارب خاصة، مرَ بها الشاعر، وتشير إلى مواقف استمدها الشاعر من الواقع.

(1) سيميائية الجسد في رواية "احلام مريم الوديعة "، لواسيني الأعرج : ايمان توهامي، رسالة ماجستير، الجزائر ـ بسكرة،2013: 27.

(2) اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، نحو إعادة التعضية للسيميائي اللامتميز والظلي في المجتمع والفكر: د. علي زيعور، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1991: 80-81.

إذ أن النظرة إلى الجسد قد لا تكون نظرة فردية دائمًا، بل هي نظرة عامة، تتبناها الثقافة وتشيعها بين الناس، ليكون للمجتمع نظرة ذات سمات عامة للجسد، بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد[3]، لهذا نجد أنّ الخطاب الشعري الاجتماعي، يمكن أنْ يكون محورًا رئيسًا من خلال العلاقات الاجتماعيَة، التي تفرض على الجسد الاحتكاك مع الآخر، لأن((الجسد لا يمكن تناولهُ في ثباته وعلاقته بذاته، بل في تفاعلاته، وحركاته وإيماءاته التي لا يمكن وصفها إلا باللغة))[4]، فتظهر هذه اللغة ميل الشاعر من خلال الخطاب، عاشقًا بأحاسيسه، وعواطفه كلَها، من دون أي حرجٍ من التقاليد أو الدين، فهو يستسلم لتلك الأحاسيس والمشاعر والغرائز في النصِ الشعري، فيبرز مجونه، الذي لا حدود له، في الأمكنة ولا في الأزمنة، فعمر الجواهري الذي ظل حتى أعقاب التسعين ـ عمر شاب متقدم في السن ـ ينبض فؤاده بالحياة والحرارة والدفء.

إذ أن الجسد حاضرًا في مخيال الشاعر، لكونه ذا تماس وتفاعل مع الآخر دائمًا، والمرأة هي الموضوع والقضيَة في آن واحد، التي قيل فيها الكثير حين يعاني الشاعر ألمًا عميقًا، فيظهر ذلك من خلال إشارات يرسلها الجسد، ليكشف عن فتنته بالآخر الشاعر، ففاضت شعرًا ينشد به رغبته في جسد المرأة واشتهاء للعبها من خلال الجسد. ففي قصيدة (سلمى على المسرح)، قائلِا: [من البحر الخفيف المجزوء]

ألعبي فالهوى لَعِبْ وابعثي هِزة الطربْ

مثلي دورِكِ الجميـ ـلَ على شِرعة الأدب

أحسني ثُقلةً وإن تعِبت هـــذه الركـــب

روِّحي هذه النفو س فقد شقّها التعب[1]

إذ عبّر في النص الشعري عن رغبته بجسد المرأة ليس فقد للرغبة بها بل، وهو يلجأ لخطابِ المرأة ذاتها هربًا من الواقع، طالبًا منها أن تزيل عنه الهموم والتعب، ولتحتضنه ذاهبة به إلى عالم آخر، ومثل هذه الدعوة إنَما تتضمن فكرة الجسد بشكل مباشر فهي لقاء الجسد بالجسد، فيُلاحظ أن الدعوة للعب وامتزاج الجسد، جاءت بصيغة فعل الأمر في بداية النص: (ألعبي، افتحي، أبعديني) وهي إشارة إلى إنَ المسافة بين المتحابين(علم البون)*، قد تزول، لتصل حد التلامس، بسبب حميمية العلاقة، وذلك كلَه يعطي للجسد حضورًا باذخًا. إذ أن تقبيل يديها يكشف عن رغبة في تحرر المرأة وتحطيم قيوده، التي كبَلت بها من قبل السلطة الذكورية، التي هي ليست سوى خشب وقسوة وغش وخداع متمثلة في السياسة، وربما إشارة لاحترامها وعظم مكانتها ودورها في الحياة للاستمرار بدعوة التحرر، والحرية للمضي قدمًا، وذلك يقول:

إفتحي لي سلمى يديـك يقبل يديكِ صب

أبعديني عن (السيا سة) والغش والنصب

ولكي نُحرِقَ الجميـ ـع هلمي إلى الحطب

وإذا لم يكن خذي بعضهم إنهم خشب [1]

(1) ديوان الجواهري : مج2 / 47 .

[1] ديوان الجواهري: مج2 / 48 .

إذ يتخذ الجواهري من خطاب المرأة منفذا استطاع من خلاله أن يطرح على الآخرين الموضوع بقوة للابتعاد عن هموم السياسة، فالخطاب يأخذ أبعادًا عميقة في ذات الشاعر وخياله، إذ تبدو المرأة متخيّلة، بعيدة عن الواقع، تعيش في خياله أكثر من كونها امرأة واقعيّة، وقد عد النقاد ذلك عنصرًا لا غنى عنه في العمليَة الشعريَة؛ لما تقومُ به ثيمة المرأة من نقل غير مباشر للواقعِ المحسوس، فهو بهذا خلق وإبداع[2]، يتجلى ذلك من خلال خطاب المرأة.

وقد عَبر الشاعر عن الجسدِ بلغة تدعو إلى الصمت، لتدل سيمائيًا على عمق المعاني، وما تعانيه المرأة من ظلم الواقع في كل زمان ومكان، وذلك من خلال الأفعال والحركات المحَملة، التي تشيء بأن الحزن يَدبُّ في ثنايا النص، ليكشف للمرأة حضوًا ماثلًا في الخطاب، فللـ(يدِ) حضور كثيف بوصفِها علامة دالة على العلاقة مع الآخر، وأداة الوصل والتواصل والسلام معهُ، فيقول:

في يديك الجميلتين إذا شئتِ ارتهاني ومن يديكِ فكاكي
إن رأيتِ الحديث يمتازُ بالرقةِ واللطفِ فيكِ عمن عداكِ
والقوافي يلذَها السمعُ من دونِ قوافٍ تشدو بحسنِ سواكِ
فلأني أُجلُّ حبكِ عن أن يُتلقى إلا بقلبٍ ذاكي [3]

لاشك أن لغة الجسد المشار إليها في النص الشعري وذلك من خلال بعض لوازمهُ (اليد) ـ إشارة للكل ببعض أجزائه ـ ففي (اليد) إشارة للألفة والدفء، فعبارة (في يديك)، تحمل سيميائيات* كبادرة اجتماعية تدل على الاحترام، فحضور المرأة بذاتها(عمن عداكِ ــ ولا تشدوا القوافي)، يعطي لها حضورًا اجتماعيًا، مرغوبًا فيه وإجلالا لقلبها وحبها، وذلك ما صرح به الشاعر في النص الشعري.

إذ أخذت المرأة في رحاب فكره الجواهري حيزًا، ذات مسحة مزاجَية حادة وساخنة، لا تهدأ، ويصطحبها الجدل بين حدة المزاج واللطف، فله جولات ومواقف، جعل رسم المرأة يعيش في قلبه وحياته.

لقد اتجه الجواهري بنقده لشعراء الغزل العذري في مرحلة مبكّرة من حياته، فيرى الشاعر العذري أبعد الناس عن الواقع، وذلك في قصيدة (على ذكرى الربيع)؛ إذ قال في أبيات منها، مُصرحا أنهُ ينطق عمَّا يطابق مشاعره، إذ يقول فيها: [من البحر البسيط التام]:

أين الذين أماتَ الحبُّ أنفسَهم حتى قَضَوا فيه عُشَّاقاً
الضاربين خيام الحب طاهرة والداعميها من التقوى بأوتاد
والمطربين لشكوى الحبَ معُلنةٌ مُستبدلينَ بها عن جسَ أعواد
لم يبلَ "قيسٌ" و"فرهادٌ" كما يُلبث ليلى بقيسٍ، وشيرينٌ بفرهاد[1]

فخطاب المرأة هنا موجه إلى حضورٍ في الذهنِ، وغياب المقام، الذي أسهم في حركية خطاب المرأة، ليكشف عن الآلام التي دفنت الحب، وعلى الرغم من هذا المنحى التراجيدي، الذي كان يأخذه الحب في المتخيّل، لكنَهُ حبًا جعل المرأة جميلة بكل المقاييس، إذ

---

(1) ديوان الجواهري : مج2 / 47 .

*علم المسافة الذي يدرس المسافة بين شخصين أو أكثر، أسسه الأمريكي "إدوارد هول"، حين وضع أنساقاً تشمل علاقات البعد والقرب بين الإفراد، لغرض الوصول لجدلية حوار الجسد مع الجسد. ينظر: لغة الجسد كيف نفهمها ونستخدمها بشكل صحيح، كريستام. م. هيلمان: 132-133.

[1] ديوان الجواهري: مج2 / 48 .

[2] ينظر: دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، دار الرشيد، بغداد،1980: 347 .

[3] ديوان الجواهري: مج2 / 117 .

* السيميائيّة هي: ((العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات))، وقد وضع لبنته الأولى العالم السويسري (فرديناند دي سوسير).

[1] ديوان الجواهري:مج241/1.

يستفهم الشاعر عن ذلك بـ(أين)، فهي دلالة على البعد المكاني الذي استمر طويلا، ينتقل من الحس الزمني إلى المكانِ، إذ أن هذا الإقصاء الجسدي لموت الحب، يُعَرض الشعراء للعقابِ الاجتماعي، مما يجعلنا نلحظ صراعًا داخليًا بين الرغبةِ، ومطلق فكرة الحبِ، أذلك عشق حقيقي لها؟ أم رمز تراثي إلى اله الحب؟!

فلاشك أن يدخل الشاعر في مغالبة للذات والنص، وما يعنيه من إقصاء وتهميش حقبة زمنيه طويلة، إذ لا يوجد حُب عُذري، ومن يقول خلاف ذلك، فهو إما كاذب، أو عاجز جنسيًا، لا يهم ما نقله التاريخ عن الشعراء العذريين، وان كانت صادقة فهم مجانين[...] يحبون الجسدَ وتقاطيعه، حتى يصلوا فيما يُحبون إلى ما ستر الله منها، وهذه الظاهرة تولَد الكبت والانفجار ثم الجنون، فيعمدون إلى تصوير البراءة، كأنهم يريدون أن يخففوا من الشهوة والرغبات الجامحة، فيضعون مقابل الإفراط الاعتدال[2]. وإن المعنى الضمني يؤول حسبَ معطيات السياق، فالمرأة معطى ثقافي يعمل المجتمع عليه؛ ليبرزه بالشكل، الذي يتوافق معه على وفق القوانين، هي من الأنساق الثقافية البارزة، التي تحدد هوية المجتمع، والفرد على حدٍ سواء. فبالرغم من إحساسه العميق بقمع الذات المتمثل في موقفه الرافض لتلك التقاليد، التي حاول اختراقها انعكست في قصائده الغزليَة الحسَية، التي يظهر فيها رفضه إلى ما أحكم قبضته من رجال الدين في وقتها*.

ومن أبرز تلك القصائد المتمردة:(جربيني[1]،عريانة [2]،النزغة[3]، لليلة معها[4]، بنت الشيطان[5]، افروديت[6]، صورة للخواطر)[7]، التي تصور الكبت داخل المرأة، وما يحمله الآخر من كبت تجاه المرأة كذلك أيضاً بفعل تلك التقاليد القاسية، التي يفرضها المجتمع، فخروج الشاعر من القفص الشائك والبيئة الضيقة المُعقدة الممزَّقة، وانتقاله إلى بيئة متحررة نوعًا ما، ومختلفة من حيث السلوك

---

[2] ينظر: ذكرياتي: محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى، قم، ط1، 2005م.ج1: 97 .

* إنَّني عشتُ بيئةً يُمنعُ فيها التلامس، والتقابل بين الرجل والمرأة، فيما هو أمرٌ مفروغٌ منه في المجتمعاتِ الأُخرى، هذا في ظواهر الأمور منها، أمَّا في بواطنها وخفاياها، فكلُّ ما يتجاوزُ الحدودُ من شُبُهاتٍ وريبٍ فيما بين الجنسين. ينظر: ذكرياتي: 1/ 127.

[1] قصيدة جرّبيني، نظمها الشاعر وهو في ريعان شبابه عام 1927م ونشرتها جريدة العراق آنذاك وكان نشرها فاتحة عالم الشعر المكشوف، وقد أثارت في حينها ضجة كبيرة، وكان يعمل في بلاط الملك فيصل الأول وعلى أثرها استقال من البلاط. ينظر: ذكرياتي:ج 1، 217. ينظر: الديوان : 1مج/ 489 .

[2] ولم تكن الثورة ضد قصيدة "عريانة" التي نظمها عام 1932، أقل من الثورة ضد جربيني. لكن الفرق، هو أنه كان قد غادر البلاط في الثانية بعد أن كان في القصيدة الأولى ما يزال فيه. القصيدة تصوير حسي لجسد المرأة ومفاتنها من الصدر إلى القدمين، ينظر:الجواهري في العيون،109،وينظر:الديوان الجواهري: مج2/123 .

[3] نظمت 1928، ينظر: ديوان الجواهري : 1مج/ 477. قصيدة شباب يذوي. نظمت 1931، ينظر ديوان الجواهري مج2/107. قصيدة كفارة وندم: نظمت 1954،مج3/397. قصيدة الساقي: نظمت 1925،مج1/ 238. قصيدة شباب ضائع: نظمت1937، مج2/297. قصيدة وخط الشيب:نظمت 1957،مج4/ 73 . قصيدة باريس: نظمت 1948،مج3/207.

[4] نظمت 1934، قصيدة تمتاز برغبة غير مكتملة، سامية على المحيط المكبل بالتقاليد التي فرضها الرجال وهو ينظر إلى الجنس هنا بأنه المطلب الأول والأخير ، إما الجمال فهو لمسة. ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين:82. ينظر: الديوان مج2/199 .

[5] قصيدة (بنت الشيطان) كتبها الجواهري، في رهان مع الشاعر الفلسطيني سميح القاسم، على الفوز بمراقصة مطربة تشيكية فاتنة في أحدى مغاني براغ عام 1973، ابن السبعين في حينها.

[6] قصيدة (أفروديت)، إلهة الحب والجمال عند الإغريق.وهي قصيدة- بانورامية واحدة، نظمت عام 1932، فيها حشد من المعاني والتعبير، فينقل لنا الخطاب الوارد بين الوصيفة وسيدتها الصارخة حبا للحياة والرؤى، فهو خطاب ذو عمق دلالي، ينظر : ديوان الجواهري:مج2/159.

[7] نظمت :1932، ينظر: ديوان الجواهري:مج2/ 158

الاجتماعي، كان سببًا له الأثر والتأثير في تطوُّرِ الأسلوب، والفكرة والصورة[1]. وظلَ الجواهري ينهل من هذا الخطاب، وتبقى أساليبه من ذلك المنجم الخصب الجديد[2].

إذ أن قصائد الجواهري في الثلاثينيات غزل ماجن، وخيال جامح، على الرغم من أنه لم يكن صاحب تجربة في هذا المجال، وما قاله ما هو إلا استجابة لرفض واقع غير مقبول لديه، أو غرائز مكبوتة، فكانت قصائده المتنفس الوحيد الذي من خلالها يعبر عن تحرره[3]، لذلك نجده في قصيدة (بديعة)، إذ يقول فيها: [من البحر الكامل]:

هُزي بنصفِكِ واتركي نصفا لا تحذَري لقَوامـــكِ القَصْفَـا
فبحسْبِ قـدَكِ أنْ تُسنَـدَه هذي القلوبُ، وإنْ شكتْ ضَعْفَا

إن الخطاب المباشر للجسد في النص الشعري، جسد المرأة/ بديعة، ذلك الجسد المهتز رقصًا بحركية نحو التحرر، والذي يثير بحركتيه الرغبة نحو الحرية والتحرر، فالشاعر يحث المرأة على مواصلة هز الجسد لتحطم تلك القيود البالية التي كبلتهُ، وأن هناك قلوب تشجعها وان كانت ضعيفة. فكلمة (ضعفا) قد تكون إشارة لما تلمحه تلك القلوب الناظرة لذلك الجسد المهتز وهو المعنى الظاهر، أما المعنى العميق فهو إشارة لقلوب الرجال، التي تخشى مناصرة حرية المرأة تجاه سلطات المجتمع والدين والسياسة، لكنها تؤيدها بالرغم من ضعفها. وما يؤيد ما دعا إليه الشاعر لاستعمال أساليب الخطاب: (هزي، نصفك، اتركي، لا تحذري، قوامك، قدك)، هي دلالة على حضور قوي للجسد في مخيال الشاعر، وربما في واقعه أيضا، بكل مفاصل ذلك الجسد المحضور، فيقول:

أُعجبتُ منكِ بكلَ جارحةٍ وخصَصتُ منكِ جفونَك الوَطفا

إذ أنها رمز من رموز جمال المرأة، التي كانت ـ وما تزال ـ موضع الهام الشعراء حتى لو اجتمع عشرون طرفا لما حملت من جمال تقاسيم عيون بديعة*، فيقول:

عشرونَ طرفاً لونُجمّعها ما قُسِّمتْ تقسيمَكِ الطرفا
تُرضينَ مُقترباً ومُبتعِدا وتُخادعِينَ الصفَّف الصفّا
أبديعـةٌ ولأنتِ مُقبِلـةً تستجمعينَ اللُّطفَ والظَّرفا

إذ يحضر الجسد إمام الشاعر في الخطاب، فإنه يتحدث معه، وكأنه حديث مقابلة وجها لوجه، فهي ترضي البعيد من خلال اهتزاز جسدها، الذي يشبع نهم أنظار الحاضر والغائب من خلال أحاديث تجري على السنةِ معجبيها، والخطاب مستمر من خلال أسلوب النداء(أبديعة، ضمير المخاطب (أنت)، وياء المخاطب)، هذه الإشارات تدل على حضور جسد المرأة الكثيف عند الجواهري، ليكون محورًا مهمًا من محاور خطاب الجواهري للمرأة. إذ المرأة في هذا الشعر ليس كائنًا مجردًا بل كائن متجسد في تفاصيل جسد، والجسد هذا موضع المتعة. قائلًا:

ولأنتِ إنْ أدبرتِ مُبديةٌ للعينِ أحسنَ ما ترى خَلْفا
هُزّي لهم رِدفاً إذا رغِبوا ودعي لنا ما جاورَ الرِّدفا
ملءُ العيونِ هما وخيرُهما ما يملأُ العينينِ و الكفّـا

---

[1] ينظر: ذكرياتي: 1/ 122 .

[2] ينظر: دوان الجواهري حسب الترتيب: بنت بيروت : نظمت 1942، مج2/355. وادي العرائش: نظمت 1934 : مج2/223. إليها: نظمت1949:مج3/ 253. وخط المشيب: نظمت 1957:مج4/73. غيداء: نظمت 1957:مج4/83.

[3] ينظر : ذكرياتي: ج 1: 217.

* بديعة عطش الراقصة الحلبية. التي كانت ترقص في(كهوة عزاوي) أشهر مراقص بغداد آنذاك.

يخاطب الشاعر بديعة الجسد في حال إدباره إذ يبدي جمال الإرداف، التي تملأ العين حسنا، وهي تهز لترضي الراغبين بها ـ لرقصًا وتمايلًا ـ فكل ما استجمعهُ وسطها مشتهى مرغوب به،وهو(ملء العيون) عند الرجال كما صرح به، ولا يخلو خطابه من دلالة ايروسية شبقية يبحث فيها المشاهد إلى ما خلف المستور للوصول في خيالهِ إلى أكثر المناطق إثارة في المرأة.

وكلاهما حسنٌ وخيرُهمـا ما خفَّ محمِلُه ومـا شقّا
هـذا يرفُّ فلا نُحِسُّ بـهِ ويهزُّنا هـذا إذا رَفّـا
وتصوّري أنْ قد أتتْ فُرَصٌ تقضي بخطفِ كليهما خطفا
فبدفَّتَيـهِ ذاكَ يُبهضنـا في حينَ ذاكَ لرقـةٍ يخـفى
ونَكِلُّ عن هذا فنَطْرَحُـهُ ونُحِلُّ هذا الجيـبَ والرفـا

يستمر الشاعر في تصوير الجسد المتحرك، الذي يثير الرجال ويشبع رغباتهم، فكلا الردف وما جاوره حسن المنظر، فالشاعر ينقل نظرته لجسد المرأة، وهي نظرةٌ بلا شك ذكورية تحمل في طياتها خطابًا واضحا للجسد، حين يكون موضع المتعة،من خلال إشارات متعددة كاستعماله لـ(ياء المخاطبة) في (تصوري)، وحين يتعب أو يكل الجسد فإنه يطرحه ليحل (الجيب) محلهِ، ومن هذه الأبيات تتضح النظرة الحسَية، التي تبناها الشاعر في خطابهِ للجسد،وهي نظرة توحي بدونية المرأة كونها نظرة حسية تطرح المرأة كسلعةٍ مبتذلة في الحياة من خلال استهلاك مواطن حسنها، ثم يتغير الحديث من خطاب إلى حالة من التعبير عما يختلج في نفس الشاعر، قائلًا:

ونزورُه صبحاً فنلثِمُـهُ ونَضُمُّهُ ونَشَمُّهُ ألفـا
ونَبُلُّهُ بدمِ القلوبِ، وإنْ عزَّتْ، ونُنعِشُهُ إذا جـفا(1)

إذ يجعل الشاعر ذلك الجسد مزارًا يحجه كل صباح وعشاء، فيلثمهُ ويضمهُ ويشمهُ، وكل ذلك بجعلِ الجسد والمرأة رهن تلك الرغبات الجموح لا أكثر، وليس بخافٍ ما لهذا الخطاب وما يعكسهُ من نظرة دونية للمرأة، جعلت من الجواهري معبرًا عن الجسد بدلالته السيميائية، وبلغة صامته، تدل على عمقِ المعاني، من خلال الأفعال والحركات المحملة بالدلالات، أي لغة تواصلية خطابية ناقلًا لدلالات مضمرة توحي بمكانةِ المرأة.

لاشك أن المرأة عند الجواهري ذات متحققة، لم يفصل بخطابه بين روحها وجسدها، إذ يتعامل معها برؤية ثقافية، لما كانت عليه في دائرتها الزمانية والمكانية، أي ليتحول بالمرأة من لذةٍ ومتعةٍ إلى دورٍ آخر، وزاوية نظر مختلفة في الخطاب، كونها حاجة ثقافية للتعبير عن الذات والخصوصية، ووسيلة للتخلص من الصور الحسَية التي رسمها، لذا يمثل حضور الجسد نسقًا ثقافيًا اجتماعيًا، فهي الكيان الذي يحدد الهوية، ولهُ دورٌ ((في توسط العلاقة بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية))[2]، كنسق حضاري وثقافي ثابت. فخطاب المرأة بنسخته الإيروسية لدى الجواهري، هو أعظم أشكال الحب وأكثرها تكاملًا، وربما يوحي بدونية ذلك الحب إذ ما نظر إليه من زاوية أنصار المرأة ضد النظرة الذكورية، فهو لا يضغط على طرف كي يقلل من شأن الطرف الآخر أَو يغيبه، ومعلوم أن زوايا النظر للمرأة متعددة فقد يُرسم صورة المرأة على أنها بضاعة للاستهلاك، وهنا الذكر تسوقه الرغبة إليها للإشباع، وينطلق من نظرة ثقافية ذكورية أحادية الرؤية لا ترى في الجسد إلا فعل امتلاك[1].

---

[1] ديوان الجواهري:مج177/2.

[2] الجسد والنظرية الاجتماعية: كرس شلنج، ترجمة: منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين للنشر القاهرة، ط1، 2009: 118.

[1] ينظر: أسرار الكتابة الإبداعية عند عبد الرحمن الربيعي والنص المتعدد: محمد صابر عبيد، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2008: 11-12.

لاشك أن الجواهري لم يتوانَ عن كتابة القصائد الغزلية ذات الطابع الوجداني الماجن، التي بدورها أثارت حفيظة الكثيرين ممن حوله، وسهلت الطريق أمام حساده لنقده والتشنيع عليه[2]، فكان ينظر برؤية ثقافَية تقليدَية، ليستعرض ذاته في قصيدة غزليَة أمام من يحب وبطريقة فكرية، وكأنه نهج فلسفي يقوم على حرية الاختيار.

إذ عبر الجواهري عن المرأة بأنها ريحانة، الوجود المادي والمعنوي، في حين أنّ خطاب الجسد لا يمكن إخفاؤه؛ لأنَه يظهر من خلال الحركات، والسكنات والإشارات، أو تعبيرات الوجه، التي يصدرها، فعند لقاء حبيبته تظهر ومضة الحب المُعبَرة عن مكنونات نفسَية، تنكشف من خلالِ سيميائَية الجسد، الذي قد يتجاوز اللغة و ألفاضها ليكون حركات وإيماءات...، فيواصل الشاعر في قصيدة (جربيني)، إذ يقول فيها [من الخفيف]:

إئذني لي انزل خفيفا على صدرك	عذبا كقطرة من معين
وافتحي لي الحديث تستملحي خفة	روحي وتسطيبي مجوني
تعرفي انني ظريف جدير	فوق هذي "النهود" ان ترفعني
مؤنس كابتسامة حول ثغريك	بجذوب كسحر تلك العيون
اسمحي لي بقبلة تملكيني	ودعي لي الخيار في التعيين
احمليني كطفل بين ذراعيك	احتضانا ومثله دلليني[3]

إذ أن هذا الخطاب في النص الشعري ينطق من رغبة جنسية لا عاطفي وعن كبت غريزي نفسي ليفصح عن غليان شاب محروم من المرأة[4]. واصفًا تضاريس جسد المرأة، واستخدامها له سلاحاً لإذلال التقاليد، ومحاولاً لإنعاش ذاكرته، وذلك من طريق هذا الاستقصاء للأعضاء نحو:(صدرك، النهود، والثغر، الذراع، شعرك...)، وهي إشارات سيميائية تنفتح على دلالات عديدة، من خلال بعض الدلائل الايروسية في النص الشعري ليرسل الشاعر رسالة للآخر.

فرمز النهد الذي أُخذ أخذًا حرفيًا عند بعض الشعراء، يمكن أن يكون له دلالة ثقافية، فهو رمز الصعود والسمو والعلو، وهذا واضح تمامًا في النص الشعري للجواهري، إي ينبع من دلالات القصيدة ورموزها ومجازاتها، بهذا هو عنوان يكشف عن أغوار النص، وعلامة استجلاب بالنسبة للرجل، وكذلك بالنسبة للنص، فالنص الذي يحمل الدلالات الايروسية لابد له من جذب المتلقي، فهي عملية استقطاب للنص، وهناك نصوص أخرى كثيرة تحمل ترسيمات مماثلة، سوف نذكرها لاحقا في قادم البحث.

لاشك أن الجواهري تعامل مع المرأة على أنّها ذات محققة للجسد، وهو يحتفظ بحرارته، وعمق إحساس الإبداع فيه، ليعبر عن منافذ الحياة الفكرية الخاصة بعيدًا عن التفاعلات الاجتماعية والثقافية، إذ جعل الجسد صوتًا مردّدًا للأصوات الأخرى.

---

[2] ينظر : الجواهري شاعر العربية:عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف،(د . ط) ، ج1، 1999: 436.

[3] ديوان الجواهري:مج412/1.

[4] ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: د.جليل العطية، منشورات الجمل، المركز الثقافي العربي ، لبنان – بيروت، ط1، 1998 :80.

فقصيدة (الشيخ والغابة)*، من النص الشعري الدرامي الذي يعطي الفاعلية الحيوية للشباب، تلك الفاعلية التي جعلت المرأة تلتف حوله من دون الشيخ، وبها يتضح هذه الوصف السلبي للمرأة، لأنها جاءت عنصرًا مؤلما للشيخ من رؤية معينة، إذ يقول فيها:

[من الرمل]

ورأى الشيخ خلال الغابة الدكناء
أشباحا تلوح
بعضها يعصر بعضا..
عله يقطف منها
ثمر الجنة غضا
آه.. لو كان فتيا
آه لو ردت إليه..
آه.. لو كان لذي قلب..
مع الشيب طموح
آه.. لو كان..
لريعان الصبا يستطيع رجعا
آه.. لو كان..
لقطعان الهوى في الشعب مرعى
وتولتْ قدميه رجفةٌ ...
ثم تلوى ...
ثم ألوى ....
ثم أقعى !
فرأى آدم يلتف بحواء ....
وتلتف عليه ....
مثل أفعى !
وانتفاضات شباب ...
كالرؤى
في هدأة الليل تجيش
آه يا شيخ ! ...
وكم تحسب أن سوف تعيش.
اه يا شيخ..
لو استطعت

* هناك مقاصد للشاعر الجواهري في كتابة نظمت قصيدة (الشيخ والغابة)، 1959عام، وهي قصيدة التفعيلة الوحيدة التي كتبها في السبعينيات ليخرج قليلاً عن تجربته الرصينة، ومجاله الإبداعي للقصيدة العمودية، ولعل تلك المقاصد كانت تتراوح بين رغبة الشاعر الجواهري في كتابة قصيدة تفعيلة مع جيل لإثبات قدرته على ذلك، وبعيداً عن مختلف التأويلات فإننا نرى هذه القصيدة التجربة النادرة للجواهري.

رجوعا للشباب [1]

إذ يتضح دور المرأة المهم عند الشاعر عندما يمنحه الاهتمام الأكبر، ونجدها متغلغلة في التفاصيل، فالنص الشعري يكشف عن جسد ناضج من خلال تباشير القطف، التي تكشف عن نضج وحلول موسم القطاف، فالجسد في النص هو الحاجة الماسة للجسد الآخر؛ فهو يدعوها إلى ألمه دعوة أنْ تحضنه (تلتف عليه)، إذ أن ابتعادها أمات الأحاسيس، وسكنت الرغبة، لذا فإن حضور الجسد في النص الشعري أعاد له الحياة، كـ(أفعى)، ومعروف أنّ الأفعى رمز الخلود والتكاثر تتخلص من جلدها القديم بآخر جديد موسميا وهي رمز الولادة الجديدة والإنجاب، في حين هنا يعطيها أيقونة بديلة عن حضور جسد الأنثى بوصفها دالة المكر والخديعة، الذي يزداد غموضه، كلما تجلى واضحاً، وكل هذا إشارات سيميائية ذات دلالة تجمع بين ظلمة النفس والصراع الداخلي لذات الشاعر، المتمثل في لفظة(الليل)، وذلك نتيجة التباعد بين الرّغبة والمعرفة، لان المرأة لا تعلم ماذا يرافق ذلك الظلام الطويل الذي يلحق الأذى، فهو يتأمل فيها، وبكلماتها، وصمتها، وغضبها...، فتجيش النفس(في هداة الليل) أحاسيس الإنسان، إذ يتحول الليل إلى ليل آخر، ليس هو الليل المعروف، أو الليل الرومانسي، بل إنه ليل طويل زمنيا ومعنويا، ليل تحتشد فيه الهموم واليأس، فيخرج فيه الزمن من المفهوم الفيزيائي للمفهوم النفسي، الذي يدل على عمق الإحساس بالوقت، لاسيما أن الشيخ وحيدٌ مستوحشٌ يترقب الزمن. وليل الشاعر ليس ليلاً عادياً، بل تجيش فيه الآهات وتمضي في ثوان من عمره، فيسترجعها رجوعا ذهنيا، فهو الملجأ الوحيد للشاعر، لكي يضفي مشاعره ويضفي معانٍ عدة على النص.

إنّ رؤية الشاعر للمرأة تنطلق من الجسد نفسه فهي الرؤية تسعى فيها((لفهم الفعل الإنساني دون أنْ تنسى مطلقا بعده الجسمي))[1]. فجاء خطاب الشاعر بالمرأة الذي يتمحور في فلك الشباب، إذ أصبحت رؤية الشيخ للشباب تجيش ألما، فيكشف النص رؤيةٍ ثقافيَة تشير لمرحلة عمَرية، يعيشها الجسد، وذلك من خلال الغوص في الأعماق لكشف خفاياه، فالجسد في النص الشعري لا يستطيع أنْ يأتي بأيّ الأعمال، سوى أنْ يحرك قدميه وهي ترتجف، إنّها إشارة سيميائية تشير لضعف كبير وهزال أصاب الجسد، حركة نجدها متمثلة (تولتْ قدميه رجفةٌ) هي((عنوان الرجولة تشكل الجزء الأكثر تعبيرا في جسم الإنسان، لكونها تخاطب الجسد والعقل والشعور))[2]

لاشك إن البنية الظاهرية للقصيدة، تشير إلى علاقة رومانسية، هي رمز فني ومعادل موضوعي لواقع الحلم، إذ يبدأ الشاعر بتصوير الأجواء المحيطة للغابة، ورسم معالم المكان، بشكل تجسيدي يهتم بالتفاصيل، ويصف الأشياء التي رافقته وانغرست فيه.

والنص طويل يكشف عن خطاب المرأة من خلال خيال الشاعر، وما يخبئ من مشاعر تجاه الجسد، ليكشف عن ذكورة النص مقابل الأنوثة، الذي يكشف حالة من حالات الإقصاء، فقد كانت امرأة النص المتقدة، تشتعل شباباً وحيوية، وكانت تدفع بجسدها إليه، لكنَهُ كان يردد عبارة (ليت رجوعا للشباب)، ليؤكد أن كل ما جرى داخل النص من أحداث يدلل على حضور اجتماعي للمرأة.

لقد عرضنا أهم الأمور لخطاب المرأة في النص الشعري، ولما لها من دوراً بارزاً في تغير رؤية الشاعر التقليدية والثقافية، والقدرة على توظيف النص وتطويعها للواقع، معتمدة على الجسد خاص بالمرأة، وهي دلالة واضحة على العناية بالجسد الأنثوي.

الخاتمة

الجواهري شاعر مبدع، ذو رؤية وبراعة استطاع ان يعمق في سبر أغوار المرأة، والنفاذ الى إسرارها، لما تحمله من دلالات ومعان في استقطاب متلقيه في شعره.

وبعد هذه المسيرة في الدراسة والبحث خلصنا إلى نتيجة من عدة نتائج يمكن ذكرها بما يأتي:

---

[1] ديوان الجواهري: مج4 / 141 .

[1] فلسفة الجسد: ميشيلا مارزانو: تر، نبيل أبو صعب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2011: 156.

[2] رمزية القدم والحذاء: خرستو نجم، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2008 : 190.

إذ أن الجواهري ينظر إلى المرأة في المنجز الشعري وميوله، الذي جعلها أساس رؤيتهِ وخطابه لها. من حيث كثافتها وتحولاتها في النص الشعري، التي يمكن أن تصيب تلك الموضوعات.

نلحظ ميلًا غريزيًا فطريًا لدى الجواهري، فتنضح في نفسه تجربته التي تراكمت عن بيئته، في الظروف، التي يعيشها الشاعر، وذلك يترتب عليها أساليب حياتية خاصة، التي تتفرد المرأة بها وما تتركه من الأثر، الذي يؤدي لتنوع خطاب المرأة؛ لكونها حاضرة في مجمل تفاصيل حياته.

لاشك في إن خطاب المرأة طغى على مساحة واسعة من المنجز الشعري للجواهري، واتسم بأشكال ونماذج وحالات متنوعة ومختلفة سواء أكان خطابا ذا حضورٍ صريح في قصائد مستقلة يتحدث فيها عن المرأة ويخاطبها، أم ذا حضورٍ غير مباشر يستشف من القصائد أو إشارات يتطلب من المتلقي فك رموزه، إذ يرتبط الخطاب بحصول صورة الشيء في الذهن أو إدراك المضمون المشخص لكل فعل ذهني، كأنه متمثل أمامنا.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الباحثة

مصادر البحث

- أسرار الكتابة الإبداعية عند عبد الرحمن الربيعي والنص المتعدد: محمد صابر عبيد، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2008.
- تمثلات الجسد في رواية "أريانة"، للروائي المغربي الميلودي شغوم، إزانة بوغراس، بحث في شبكة المعلومات https://puipit.aiwatanvoice.com: التاريخ5/ 11/ 2019.
- الجسد والنظرية الاجتماعية: كرس شلنج، ترجمة: منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين للنشر القاهرة، ط1، 2009.
- الجواهري شاعر العربية:عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف،(د. ط)، ج1، 1999.
- الجواهري شاعر من القرن العشرين: د.جليل العطية، منشورات الجمل، المركز الثقافي العربي، لبنان – بيروت، ط1، 1998.
- الجواهري في العيون من أشعاره: محمد مهدي الجواهري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط4: 1998.
- دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، دار الرشيد، بغداد،1980.
- ديوان الجواهري: محمد مهدي الجواهري، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ص.ب 5261-13، بيروت – لبنان، ط1، 2000.
- رمزية القدم والحذاء: خرستو نجم، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2008: 190.
- السيمياء و النص الأدبي "رواية مثلث الرافدين " دراسة سيميائية سردية: عبد الناصر مباركية،محاضرات الملتقى الدولي الخامس12 نوفمبر، منشورات قسم الأدب العربي بسكرة 2008.
- سيميائية الجسد في رواية "احلام مريم الوديعة "، لواسيني الأعرج: ايمان توهامي، رسالة ماجستير، الجزائر ـ بسكرة،2013.
- فلسفة الجسد: ميشيلا مارزانو: تر، نبيل أبو صعب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2011.
- اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، نحو إعادة التعضية للسيميائي اللامتميز والظلي في المجتمع والفكر: د. علي زيعور، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1991.
- لغة الجسد كيف نفهمها ونستخدمها بشكل صحيح، كريستام. م. هيلمان.
- ذكرياتي، محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى، قم، ط1، 2005م.